

الجولان العربي السوري



الجولان...!

أعرف،

وتعرفون أن الجولان ليس أرضاً، أو بقاعاً مأهولة بالناس فحسب، وأنه ليس قلباً محتلاً من أعداء التوحش والبطش والدموية أيضاً، بل هو أكثر من ذلك، إنه الوطن، والتاريخ، والكرامة، والتبيل، والشهداء، والدماء التي سالت كالسواقي فوق ترابه الطاهر، وهو معارك الشرف والبطولة، هو الأجداد والأبناء والإخوة الذين ضحوا في معارك (الحاصل العسكري)، و(التوافيق)، و(تل الفخار)، و(تل العزيبات)، و(تل الفرس)، و(التلول الأحمر)، و(الجوخدار)، و(الدرباشية)، و(علمين)، و(سكوفيا)، و(طبريا)، و(تل عنتر)، و(تل علي أبو الندى)، و(مجدل شمس)، و(بانياس)، و(نعران)، و(دير سراس)، و(العليقة)، و(الجمرك)...

إنه نداءات المقاتلين وأشواقهم التي كانت تعبر يومياً نهر الأردن، وبحيرة طبريا نحو أرض الجليل التي مشاها سيدنا المسيح (عليه السلام) إنه نشيد حماة الديار عليكم سلام) الذي يجول في هواء الجولان تحويماً من القنيطرة في الشمال إلى كفر حارب في الجنوب، إنه

الحكايات الوطنية التي أفاءت إلى (الحمّة) نشداناً للطمأنينة الأسرة.

إنه أشجار الدلب والسنديان والبلوط، والسدر، والغار، والطيون، وأجمات أعواد القصب، وغناء الصبايا اللواتي يغمرن مغمقات القش بالأعشاب الندية الطرية وهن يماشين المواويل الباحثة عن دروب العشاق ومواعيدهم، والينابيع وما توسوس به من كلام رنيم. إنه أشواق الرعيان المرسلّة من النيات المفطورة على الشوق والنداءات الأبدية، إنه سمك طبريا البرماني، وحقول الذرة الممتدة بشقرتها النادرة على ضفة نهر الأردن الطويلة الممدودة، إنه زيتون نعران وعين السمسم، ودوالي الرزانية والسنديانة، والعدنانية والخشنية، إنه الأودية المملأ بالخصب والأسرار التي تهبط إليها قطعان الماشية في الصباح الباكر فلا تؤول منها إلا قبيل الغروب!

الجولان، هو تاريخ الذي كتبه خالد بن الوليد، وأبو عبيد الجراح، وصالح الدين الأيوبي بالكبرياء والزميمة... هؤلاء الأباة الذين ما إن يخطر ببالهم بيت المقدس، حتى تحتشد جيوشهم فوق أرض الجولان

استعداداً لكتابة التاريخ الماجد.

الجولان، هو المدارس، والمشايخ، والأغاني، والحكايات، والتقاليد، والعادات، والأعراف، وألفة الناس التي تشبه ألفة النحل في خلاياه، وألفة الطيور لبساتينها.

والجولان هو المواسم لهجرات الطيور من الزرايزر إلى الحمام البري شتاءً، ومن السنونو إلى الكراكي في الربيع، ومن الحجل إلى البط البري والحباري القطا في الصيف والخريف!

والجولان طراد الخيول، والأعراس، وبيادر القمح، والقهوة المرة، وحكايات الليل، والذكريات، والأسواق العامرة بغلال الأرض، والبيوت العامرة بالأمال ونداوة السماء!

والجولان هو الدروب والأفكار والحكايات والقصائد التي قالها المتنبي، وأبو تمام، وغوغول، ومالاريميه، ولا مارتين، وايضان بونين، وابن بطوطة، وناصر خسرو.. وآلاف الأعلام من أهل القلم والقراطيس والألوان.

والجولان هو الوطن، والرأية، والأحلام.. والأشواق!! والجولان هو دورة العشق التي تدورها، بكامل الشوق، كال دراويش من أجل النور.. والحق وتتميم المحبة!

• التحرير

الجولان في الذاكرة

• د. اسكندر لوقا

سياق الصراع العربي - الصهيوني، وتكلل هذا الصراع بإقدام الكنيست الإسرائيلي، في الرابع عشر من شهر كانون الأول عام 1981، على إصدار قرار يقضي بضم الجزء الذي بقي محتلاً من الجولان غربي خط الهدنة عام 1974 إلى إسرائيل.

في سياق التاريخ لقضية الجولان لا أعتقد أن أحداً يجهل تفاصيلها. وكلما ازداد أحدنا اطلاعاً أو معرفة بهذه التفاصيل، أدرك أن إسرائيل لا يمكن أن تتخلى عما حققته في عام 1967 لعدة اعتبارات أهمها - على سبيل المثال لا الحصر - مياه الجولان التي تشكل خزاناً مائياً مهماً لإسرائيل وعنصر استراتيجياً بالنسبة لها، بالإضافة إلى أن الجولان يقع في منطقة جيو - إستراتيجية شديدة الحساسية وبشكل نقطة ارتكاز أساسية بالنسبة إلى الإدارة العسكرية الإسرائيلية. كل ذلك وغيره من التفاصيل العلنة تؤكد عدم جدية إسرائيل في مسألة التخلي عن الجولان، بالطرق السلمية، والا خدعنا أنفسنا.

هذا ودائماً تبرهن إسرائيل على أنها فوق إرادة دول العالم فيما يتعلق بإعادة الحقوق العربية إلى أصحابها، ولهذا الاعتبار ترفض الالتزام بقرار مجلس الأمن الدولي رقم 497 الصادر بتاريخ 17 كانون أول 1981 وهو من القرارات النادرة التي أنصف بها مجلس الأمن نفسه، وأقر بمبدأ عدم جواز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة سواء من خلال احتلال هذه الأراضي أو بالهجوم عليها وضمها وذلك وفقاً لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن.

إن المتتبع لمسار قضية الجولان، في الوقت الراهن الذي تواجه فيه المنطقة عموماً وسورية خصوصاً تبعات الحرب التي تشن عليها من قبل ما يزيد عن مئة دولة، يخلص إلى نتيجة لا مجال للشك فيها وهي أن إسرائيل مصممة على تجاهل لا قرار مجلس الأمن فقط بل كل ما صدر من قرارات دولية سبقت في هذا الاتجاه، وبالتالي مصممة على الاحتفاظ بالجولان وعدم أعادته إلى الوطن الأم وإلى أمد غير محدود. هذا يذكرنا بأخر تقرير للأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان قبل مغادرته منصبه وفيه قوله: لم يحدث أي تحرك خلال فترة ولايتي صوب تسليم مرتفعات الجولان التي تحتلها إسرائيل إلى الجمهورية العربية السورية مقابل السلام بين الجمهورية العربية السورية وإسرائيل. وقد أصابني الإحساس بخيبة الأمل لأن المحاولة الجادة الأخيرة التي بذلتها الولايات المتحدة للتفاوض حول حل المسألة القائمة منذ أمد طويل قد باءت بالفشل في عام 2000 والسكان العرب بوجه عام غير قادرين على السفر إلى الجمهورية العربية السورية لزيارة أفراد أسرهم، وعانوا على مر الزمن من قيود متزايدة على استخدام الأراضي بسبب قيود التنظيم العمراني الإسرائيلي. لذلك يجب أن يكون هذا مدعاة لعدم تعاون المجتمع الدولي إزاء ضرورة حل هذه المشكلة. ثم إن التقاعس عن تحقيق هذا مجرد أن الحالة على الأرض هادئة يبعث برسالة خاطئة تماماً.

أجل، الأرض هادئة اليوم، ولكن من يضمن هدوءها إلى الأبد؟ سورية لا يمكن أن تستسلم ولا يمكن أن تهدأ في المسائل التي تتعلق بكرامة المواطن وبقيم المواطنة المثلث. ومن هنا يزداد الأمل عندنا بأن الأرض تبقى أرضنا، ولأن الجولان من هذه الأرض فلا عودة عن هذا الموقف.

كلما قلبنا صفحة من صفحات تاريخ سورية المعاصر، أطلعتنا على حدث أثار فينا سؤالاً: لماذا كان قدرنا أن ندفع من أرضنا ومن أبنائنا ثمناً قد يصعب علينا أن نعوضه من دون المزيد من المعاناة؟

في مسألة سورية الطبيعية، تتضح أمام أعيننا خارطة التقسيم، تقسيم أراضيها إلى أجزاء متناشرة هنا وهناك، من شمال الشمال، من جبال طوروس إلى جنوب العقبة في الجنوب، مروراً بلواء الاسكندرون الذي تبقى ذكراه عالقة في الذاكرة الجمعية للسوريين كافة مهما طال الزمن.

وفي المسألة الفلسطينية نجد معظم أرض فلسطين العربية باتت رهينة أعداء الأنبياء والرسل الذين قدسوا ترابها قبل آلاف السنين، واليوم تدفع ضريبة القداسة بغير حساب.

وفي المسألة السورية الراهنة، تتضح، من جديد، معالم التقسيم التي بشرت بها اتفاقية سايكس - بيكو في أوائل القرن الماضي وصولاً إلى احتلال أرضنا العربية السورية في هضبة الجولان من قبل الكيان الصهيوني بقوة السلاح لا بقوة الحق.

ونحن، من جهتنا، من الطبيعي ألا نؤمن أو نقبل بخضوع الجولان - الأرض لاعتبارات الربح والخسارة بمفهوم الحسابات التقليدية، لأن ثمنها يفوق مساحة أرضها، وأيضاً لأن كل ذرة تراب من أرض الجولان، كما من كل بقعة أرض في الوطن تساوي، بمعانيها، العرض قبل أي شيء آخر ولها علاقة بشرف المواطنة. ومن هنا يبقى الجولان، في حساباتنا الوطنية والقومية يبقى قضية كما سمعة المرء الذي يطمع بشرفه ولا يستكين حتى يثار من المعتدي عليه.

كذلك هو حال المواطن العربي السوري الذي يشعر بأن من سلب الجولان من أرض آبائه وأجداده بالقوة لا بد أن يواجه مصيره في سياق استردادها من قبل أصحابها بقوة السلاح في يوم آت مهما طال انتظاره. وإسرائيل تدرك ذلك جيداً، ومع ذلك تحاول إيهام نفسها بأن هذه الأرض أرضها كما ادعاؤها بأن القدس عاصمتها الأبدية. ولأنها تدرك أيضاً أن الجولان أرض الخصب والخير والعطاء تزداد تمسكاً به يقيناً منها بأن الزمن هو وحده الكفيل بجعل قضية الجولان، في الذاكرة العربية قضية منسية.

وبطبيعة الحال، لأن هذه القضية هي في الوقت الراهن، قضية وجود أو غياب أرض غالبية من أرض الوطن بالنسبة لنا في سورية، فمن البديهي أن تبقى عالقة رهن الزمن المناسب لاستردادها من مغتصبها على غرار اغتصاب أرض أخرى من الوطن في أزمنة سابقة.

في السياق ذاته، جميعنا نذكر أن بريطانيا تخلت عن الجولان لفرنسا عملاً باتفاق تم بينهما في السابع من شهر آذار عام 1923، وأصبحت الهضبة بذلك تابعة لسورية منذ انتهى الوجود الفرنسي في البلاد. كما أنه عند رسم الحدود الدولية في سنة 1923 بقيت الجولان داخل الحدود السورية استناداً إلى اتفاقية سايكس - بيكو مع تعديلات قليلة. وسنة قام العدو الصهيوني بشن حربه على العرب في عام 1967 تمكنت القوات الإسرائيلية في التاسع من شهر حزيران من العام المذكور من احتلال 1260 كم² من مساحة هضبة الجولان بما في ذلك مدينة القنيطرة، المدينة التي عادت إلى حضن الوطن في عام 1974. ومع هذا بقيت القضية عالقة في

الجولان العربي السوري



الجولان العربي السوري في مواجهة بلدوزرات الاحتلال

• علي بدوان

وبالحصلة فإن عمليات التهويد الجائرة فوق أراضي هضبة الجولان السورية المحتلة، وصلت إلى حدود إقامة (46) موقعا استيطانيا، ما بين مستعمرة، ونواة مستعمرة، وموقع استعماري من مستعمرات الناحل العسكرية، إلى مستعمرات الكيبوتز الزراعية الصناعية الجماعية، إلى مستعمرات المشاف العمالية التعاونية. حيث توزعت في أنحاء الهضبة وفق التالي: ثلاث مدن استيطانية، (20) مشاف وهي مستعمرة زراعية تعاونية تقوم على تعاون المالكين: استيطان عمالي تعاوني، و (18) كيبوتس وهي مستعمرة زراعية جماعية ذات ملكية عامة، وخمس مشافات تعاونية تقوم على الملكية الفردية للمنازل والأرض، ونقطتا ناحال استعمارياتان، وهي وحدات شبه عسكرية لإقامة كيبوتسات صناعية - زراعية، واختصارا لكلمة «نوع حويشي لوحي» أي المزارعة والمحاربة في الوقت نفسه (8).

وقبل خمسة أعوام مضت، وضمن خطة تعزيز ما يسمى بـ «الاستيطان اليهودي» في الجولان، كانت سلطات الاحتلال قد أعلنت عن البدء بالتوسع الاستيطاني فوق أراض جديدة بمساحة (80) دونم في منطقة البطيحة في أقصى جنوب هضبة الجولان، على ملتقى الحدود الأردنية السورية الفلسطينية، من أجل بناء قرية سياحية في منطقة تل الصيادين على الساحل الشرقي لبحيرة طبريا، إضافة إلى البدء ببناء قرية سياحية على أنقاض بلدة بانياس السورية المحتلة الواقعة شمال الهضبة، إضافة إلى قرية سياحية ستبنى على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا في منطقة الكرسي من الأراضي السورية المحتلة. وبهذا فإن حكومة نتنياهو تكون قد منحت خلال الفترة الأخيرة امتيازات خاصة لتشجيع «الاستيطان»، وتوسيعه فوق أرض هضبة الجولان السورية، وتحديدًا في بناء تسع مستوطنات سياحية جديدة، في جنوب الجولان بشكل خاص.

إن حملة الاستيطان الصهيونية الجائرة، تشهد الآن زخماً كبيراً في البناء لم تعهده منذ سنين طويلة. مشيرة إلى أنه سجلت مؤخراً ارتفاعاً بنسبة تربو على (400%) في شراء الشقق الاستيطانية في مرتفعات الجولان. وقد وضع مايمسي بالمجلس الإقليمي للاستيطان في الجولان المعروف اختصاراً بـ «هاغولان»، وضع خطة سنوية تهدف إلى استيطان نحو (300) عائلة يهودية جديدة في مرتفعات الجولان، و (150) عائلة إضافية في مستعمرة «كتسرين» القريبة منها، في إطار حملة ديموغرافية - إستراتيجية، لتهويد الجولان العربي السوري المحتل.

وبشكل عام، لقد طرأ على عمليات استثمار أراضي الهضبة وتهويدها في الجولان العربي السوري المحتل ارتفاع حاد وفق المعطيات المتوفرة والمنشور، فهناك ارتفاع في عدد المستوطنين في «المجلس الإقليمي جولان» في السنوات السبع الأخيرة بنسبة (60%). وفي السنوات الخمس الأخيرة ارتفع عدد المستوطنين في مستوطنة «كتسرين» على سبيل المثال من (6.500) مستوطن إلى نحو (8.000) مستوطن، منهم (700) مستوطن استوطنوا المستعمرة المذكورة نهاية العام 2009 (9).

أخيراً، إن قضية الجولان العربي السوري المحتل، قضية وطنية بامتياز، لاتعلو فوقها قضية بالنسبة لسورية العربي ومستقبلها الوطني، ومستقبل أجيالها. فالجولان سيعود إلى الوطن الأم عاجلاً أم آجلاً مهما ولغت حكومات الاحتلال في محاولات تهويده واستعمارها وإنشاء المستعمرات فوق أرضه لاسكان اليهود المتأتين من كل أصقاع المعمورة.

السوري المحتل، وقد حضرَ المؤتمر (90) عضواً من أصل (100) عضواً، يُشكلون مايسمى بمجموعة المائة، وهي مجموعة متعددة الاختصاصات تابعة لوحدة التخطيط الاستراتيجي لتوسيع الاستيطان. وكان موضوع البحث كيفية زيادة عدد المستوطنين في الجولان إلى (50) ألفاً على المدى القريب، وإزالة كل الحواجز للوصول إلى هذا الهدف من خلال التوسع بمعدل متزايد ضمن خطة تبدأ على النحو التالي: (200) عائلة لكل واحدة من (27) مستوطنة، وتطوير (4) تجمعات سكانية كبيرة يصل عدد سكانها إلى (10) آلاف مستوطن، وزيادة عدد سكان مدينة كتسرين (الواقعة مكان بلدة القصرين السورية بعد أن تم تدميرها عام 1967) الواقعة وسط هضبة الجولان إلى (20) ألف مستوطن، كما تم تجهيز المخططات لبناء (60) منزلاً لبعض المستوطنين من مستعمرة نتساريم السابقة، الذين غادروا قطاع غزة بعد تفكيك المستعمرة المذكورة التي كانت قائمة في القطاع في العام 2005. هذا إضافة إلى المعلومات الواردة بداية المقال عن قيام «إسرائيل» ببناء مشاريع سياحية متطورة.

وعلى كل حال فإن حملة الاستيطان الاستعمارية التهويدية «الإسرائيلية» بدأت فوق مناطق الحدود المشتركة الفلسطينية/ السورية بما في ذلك فوق أجزاء من الجولان قبل الاحتلال الكامل للمرتفعات السورية عندما زحفت القوات «الإسرائيلية» واستولت على أكثر من (60%) من المناطق المعزولة السلاح وفق خط الهدنة لعام 1949 واستولت عليها بقوة النار، ومرت هذه الحملة بعدة مراحل، ففي المرحلة الأولى التي امتدت بين أعوام (1949 - 1967) بعد توقيع اتفاق الهدنة، حين شرعت «إسرائيل» بضم الأراضى المنزوعة السلاح على جانبي خط وقف إطلاق النار بشكل تدريجي، وطرقت أثناء ذلك أكثر من (800) مواطن فلسطيني وسوري بانتجاه الأراضي العربية السورية في هضبة الجولان في سياق تجفيف بحيرة الحولة (3).

وبدأت المرحلة الثانية في شهر تموز/ يوليو 1967 بتدشين وبناء أول مستعمرة وسط الجولان المحتل، قرب تل العرام بعد احتلالها حيث حملت اسم مستوطنة (ميروم هاغولان) في 12/7/1967، واستمرت هذه المرحلة حتى العام 1973، وتم خلال هذه المرحلة إنشاء (21) مستعمرة طغى عليها الرؤيا الاستراتيجية لجهة بنائها ومواقعها وترابطها الدفاعي واستقدام العنصر الشاب في سياق عمليات الاستيطان والتهويد (4).

أما المرحلة الثالثة فقد بدأت مع نهاية حرب تشرين أول/ أكتوبر 1973، وتأثرت بدروس الحرب، حيث تم إحداث إضافات على الرؤيا الاستراتيجية الصهيونية لأغراض ووظائف عمليات الاستيطان وبناء المستعمرات، بما في ذلك تطوير دور هذه المستعمرات كدروع حصون «أسوار وأبراج»، ومواقع عسكرية دفاعية، فضلاً عن دورها الاستعماري التهويدي، وكمواقع إنتاجية صناعية وزراعية. وبلغ عدد المستعمرات التي أنشأت خلال هذه الفترة عشرة مستعمرات (5).

وبدأت المرحلة الرابعة مع وصول اليمين الصهيوني بقيادة تكتل الليكود لأول مرة في تاريخ الدولة العبرية إلى سدة الحكم في «إسرائيل» عام 1977 بزعامة مناحيم بيغن. واستصدار قرار الضم، والزام سكان القرى الخمسة السورية الذين بقوا فوق الهضبة بحمل الهوية «الإسرائيلية»، مما ولد حركة شعبية داخل هذه القرى برفض الهوية «الإسرائيلية» والتمسك بالجنسية العربية السورية وعودة الجولان العربي السوري إلى الوطن الأم.

أما المرحلة الخامسة فقد بدأت عام 1984 مع قدوم أولى دفعات يهود الفلاشا من أثيوبيا، الذين تم استيطانهم في مستوطنات أقصى شمال الهضبة في زاوية منطقة جبل الشيخ على مثلث الحدود (الفلسطينية - السورية - اللبنانية) وصولاً إلى منطقة مزارع شبعاء. واستمرت هذه المرحلة مع قدوم موجات اليهود القادمين من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، حيث تم استيطان بضع مئات منهم فوق أراضي هضبة الجولان (6).

وأخيراً فإن المرحلة السادسة لعمليات التهويد والاستيطان الصهيوني فقد بدأت مع انطلاق تسوية مدريد نهاية عام 1991 حيث استمرت حكومة الليكودي اسحق شامير بتطوير المستوطنات القائمة، وساهم حزب العمل في الحكومة التي تلت حكومة اسحق شامير بتقديم العطاءات لتوسيع عمليات الاستيطان والاستعمار اليهودي على أرض هضبة الجولان (7).

ويلحظ المتتبع لشؤون الاستيطان اليهودي في الأراضي العربية المحتلة بأن خطط «إسرائيل» فشلت عملياً في جلب الأرقام المحددة من اليهود للاستيطان والإقامة في الهضبة (نصف مليون مستوطن حتى نهاية العام 2000) لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بوقوع المستوطنات التي تم إنشاؤها في مناطق خط المواجهة العسكري مع القوات العربية السورية، فضلاً عن الشعور داخل المجتمع اليهودي على أرض فلسطين بأن التسوية مع سوريا لن تكون من دون رحيل آخر مستوطن من على أرض الهضبة السورية المحتلة حتى خط الرابع من حزيران/ يونيو 1967.

لم تهدأ جرافات وبلدوزرات الاحتلال طوال السنوات الماضية التي انقضت من عمر مسيرة التسوية السياسية في ابتلاع المزيد من الأرض العربية المحتلة بما فيها هضبة الجولان بقصد تهويدها وإحلال المستوطنين القادمين إليها من مختلف أصقاع المعمورة. حيث تشير المعطيات الرقمية المتوفرة من مصادر عدة موثوقة بأن أكثر من (600) ألف دونم من مساحات الضفة الغربية والقدس المحتلة عام 1967 قد ابتلعتها يد الاستيطان الصهيوني منذ انطلاق مؤتمر تسوية مدريد عام 1991. في وقت عملت فيه حكومات الاحتلال المتعاقبة بكل جهودها من أجل رفع وزيادة منسوب عمليات الاستيطان فوق الأرض العربية السورية المحتلة في هضبة الجولان، حيث أقدمت وخلال فترات متتالية على تقديم رزم سخية وإغراءات مختلفة لتشجيع موجات الهجرة الاستيطانية الاستعمارية بانتجاه الجولان (1).

الجولان السوري المحتل مازال يُشكل ركناً أساسياً من أركان المشروع الاستيطاني الكولونيالي الإقليمي الصهيوني، بالرغم من فشل سلطات الاحتلال باستجلاب وإسكان المستوطنين من اليهود، وفق الأرقام التي حددتها سلطات الاحتلال في خططها الرامية لتهويد كامل مساحة الجولان المحتل (2).

الاستيطان والتهويد

لم تكن مجموعة القرارات والإجراءات التي اتخذتها الحكومات «الإسرائيلية» المتعاقبة، والقاضية بمضاعفة أعداد المستعمرين اليهود فوق أراضي الجولان العربي السوري المحتل. إلا مخالفة صريحة لقرارات الشرعية الدولية.

وفي حقيقة الأمر فإن سلطات الاحتلال ومنذ اللحظات الأولى من احتلال المساحات الواسعة من هضبة الجولان، قامت بمجموعة من الإجراءات على الأرض وبدأت يخلق واقع جديد يساعد على ضم الهضبة وإحاقها بدولة «إسرائيل» من خلال: تدمير البنية التحتية لكل المواقع والقرى والبلدات والمزارع السورية التي هجرها أصحابها بفعل العدوان «الإسرائيلي» عام 1967، بالترافق مع إقامة شبكة من المستوطنات الاستعمارية اليهودية فوق أنقاضها، التي امتدت وتناثرت فوق جميع أراضي المرتفعات السورية المحتلة من الشمال إلى الجنوب، ومن العمق نحو خط وقف إطلاق النار، وتم جلب الآلاف من اليهود المستعمرين إليها، وإقامة قاعدة مادية في الجولان المحتل تشمل إضافة إلى المدن والمستوطنات الاستعمارية، من مشاريع زراعية وصناعية إنتاجية، ومشاريع مراكز صناعة الهليكوبتر الإلكترونية، ومصنع إنتاج قطع غيار الطائرات العسكرية التابع للصناعات الجوية، وتنفيد عدد من المشاريع المائية والسدود وجر المياه إلى الأنابيب القطرية نحو فلسطين المحتلة وإلى مستعمرات الشمال من مواقعها في الهضبة السورية ومن أقدام جبل الشيخ والحصرة والتهويدية السورية الفلسطينية/ في منطقة الغور، وإقامة منشآت سياحية متطورة، لا سيما في منطقة جبل الشيخ: الترفيه ومناطق التزلج/ كمستوطنة (أي أليف) التي أقيمت على أنقاض بلدة (جباتا الزيت) السورية على سفوح جبل حرمون الشرقية، وفي منطقة الحمة حيث البناييع الكبريتية، وعلى الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا. وتبعت في ذلك قيامها بتغيير معالم الأرض من حيث إنهاء البنية السكانية العربية وتدمير كافة القرى والبلدات العربية ومسحها من الوجود باستثناء القرى الخمسة التي بقي أهلها من المواطنين العرب السوريين صامدين فوق أرضها.

فال مشروع الأساسي الذي وضعته الوكالة اليهودية للاستيطان في الجولان إبان احتلال الهضبة عام 1967، تحدث عن مخطط لإسكان (50) ألف مستوطن، وعن إقامة مدينة وسط الهضبة يسكنها (30) ألف مستعمر دعيت باسم مدينة (كتسرين) على أنقاض قرية (القصرين) العربية السورية وسط هضبة الجولان، على أن يتم ذلك خلال فترة أقصاها نهاية العام 1979 وفق ما كان مخطط له، لكنها فشلت في تحقيق ما كانت تصبو إليه لأسباب مختلفة.

وفي الوقت الراهن، تتزامن حملات التهويد والاستيطان الصهيونية المسعورة في عموم الأرض العربية المحتلة، مع مباشرة الحكومة «الإسرائيلية» بالعمل ومنذ فترة على تنفيذ مخطط استيطاني يتم بموجبه تشجيع وتكريس الاستيطان اليهودي في هضبة الجولان المحتلة في غضون الأعوام القادمة، على أن يتم إنشاء وبناء تسع مستوطنات جديدة تضاف إلى (32) مستوطنة القائمة هناك، وتوطن (200) عائلة يهودية كل عام في الجولان، هذا بالإضافة إلى مصادقة المجلس الإقليمي على توسيع مسطح مستوطنة «نمرود» شمالي الجولان المحتل. وتأتي هذه الأعمال والإجراءات التعسفية الصهيونية متوازية ومتتالية مع مجموعة من القرارات التي سنّها وأصدرها وتبناها الكنيست «الإسرائيلي» منذ سنوات خلت، مثل سن قانون «استفتاء عام للإسحاب من الجولان والقدس».

إن مشاريع الاستيطان تجري بحفوف بعيداً عن الأضواء فوق الأراضي السورية المحتلة. ففي مستعمرة (راموت) المطلّة على بحيرة طبريا، عقد قبل فترة وجيزة من الزمن، المؤتمر الثالث لوحدة التخطيط الاستراتيجي للاستيطان «الإسرائيلي» في الجولان العربي

- 1 - على سبيل المثال، نقلت صحيفة معاريف «الإسرائيلية» بعدها الصادر يوم 2010/4/12 ونقلت الصحيفة عن ديفيد شالوم، مدير ما يسمى «دائرة الاستيعاب» في «المجلس الإقليمي جولان» قوله أن المستوطنون الجدد يحصلون على دونم من الأرض مجاناً، وبإمكان العائلة إقامة منزل بمساحة (150) متراً مربعاً مع حديقة واسعة بتكلفة لا تزيد عن (700) ألف شيكل فقط.
- 2 - أصدرت دولة الاحتلال قراراً لا شرعياً يتناقض مع القانون الدولي بضم الجولان بتاريخ 1981/12/14، فأصدر مجلس الأمن القرار الرقم (497) بتاريخ 1981/12/17 والذي أكد فيه على بطلان القرار «الإسرائيلي» بضم الجولان.
- 3 - انظر كتاب: الفلسطينيون في سوريا والعراق من الاقتلاع إلى العودة. دار الميزان / دمشق، 2002، ص.3، ويمكن العودة إلى الأخير، المحقّق الرابع / الفصل الأخير. القرى الحدودية الفلسطينية مع الجولان.
- 4- المصدر السابق ص 106، كذلك صحيفة النهار البيروتية: الاستيطان في الجولان - عدد يوم 1995/12/12.
- 5 - المصدر السابق ص 106.
- 6 - استطاعت الحركة الصهيونية ودولة الاحتلال استخدام يهود الفلاشا من إثيوبيا تجاه فلسطين عبر السودان عام 1984.
- 7 - كان اسحق شامير رئيساً للوزراء في دولة «إسرائيل»، وقد مثلها في افتتاح أعمال مؤتمر مدريد في تشرين الأول/أكتوبر 1991.
- 8 - انظر: إستراتيجية الإستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة - إصدار مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - طبعة 1978 - ص 227 - 228 - 229 - 230. كذلك الموسوعة الفلسطينية - المجلد الرابع - الطبعة الأولى 1984 - ص 233 إضافة إلى تقرير المكتب المركزي للإحصاء الإسرائيلي، نهاية العام 1999 - صحيفة يديوت أحروروت «الإسرائيلية»، كذلك يمكن العودة إلى كتاب: الخارطة السياسية - إصدار مكتب الثقافة - تأليف العميد الركن إلياس رزق - طبعة عام 1986 - ص 115.
- 9 - تقرير منشور على صفحات جريدة معاريف، الإسرائيلية، / عدد يوم 2010/4/12.



الجولان العربي السوري



العروبة... والتاريخ الجولان..

• علي المزعل

القنيطرة في كتابات بعض الرحالة الأجانب والعرب • عدنان قبرطاي

وقبر بصيداء التي عند حارب
(وصيداء وحارب هي من قرى الجولان)
وورد ذكر الجولان في شعر حسان بن ثابت
حين قال:
قد عفا جاسم إلى بيت راس
فالجوابي فحارث الجولان

وقال:
تكلت أمهم، وقد نكلتهم
يوم حلوا بحارث الجولان
وقال جواس الكلبى:
بجابية الجولان لولا ابن بحدل
هلكت ولم ينطق لقومك قائل

وقد ورد ذكر الجولان على لسان الشعراء:
(ملحة الجرهمي، وعدي بن غطيف الكلبى، وأبو
نواس.... وجيهاء الأشجعي الذي قال يصف
عنزة:
رعت عشب الجولان ثم تصيقت
وضيعة حلس فهي بداء راجح
إشارة إلى خصوبة الجولان ونضارة عشبها.
وقد ورد اسم الجولان على ألواح تل
العمارنة... وهناك الكثير من الوثائق التي
تؤكد عروبة الجولان منذ فجر التاريخ ومن
المهم أن نشير إلى أن كل محاولات الكيان
الصهيوني لتزوير آثار الجولان باءت بالفشل
حيث لم يتم العثور على أي أثر تاريخي يؤكد
أطماع الصهيونية وأوهامها على الرغم من
الحضريات المتواصلة منذ احتلال الجولان
وحتى الآن..

ولعل كل ما تقدم يشير إلى كذب وزيف
الادعاءات الصهيونية العنصرية الأمر الذي
أكدته كل القرارات الدولية التي صدرت في
أعقاب عدوان حزيران 1967 وفي أعقاب قرار
ما يسمى بالكنيست تضم الجولان عام 1981
والذي سقط وإلى الأبد تحت أقدام أهلنا في
الجولان الذين ما يزالون حتى الآن يخوضون
معركة الهوية في مواجهة كل محاولات
التهويد والطمس والإلغاء، وأمام إصرار أسرا
الأبطال على مواجهة السجن الصهيوني دفاعاً
عن عروبة الجولان وتاريخه ومستقبله...
ووفاء لتاريخ الجولان المقاوم ودوره المركزي
في مواجهة المشروع الصهيوني منذ قيامه في
فلسطين العربية حيث كان ساحة لأشرس
المعارك التي خاضها الجيش العربي السوري
دفاعاً عن فلسطين فمن حرب الإنقاذ 1948
إلى معركة تل الشمانه 1951 ومواجهة
الغارة الكبرى على منطقة البطيحة 11 كانون
الأول عام 1953، ومعركة التوافيق 31 كانون
ثاني 1960، ومعركة تل النيرب 16 آذار
1962، ومعارك الطيران فوق طبرية 1965،
وعدوان حزيران 1967 ومعارك الثلاثة
أيام في منطقة الحيرة 1970 (3)... وصولاً
إلى حرب تشرين التحريرية 1973، وحرب
الاستنزاف وتحرير القنيطرة في 26 حزيران
1974، والتي شكلت أول انتصار عربي في
التاريخ الحديث، وأسست لنهج المقاومة الذي
نشهد فصوله الآن..

ختاماً، يمكن القول إن ما نشهده الآن من
الفتنة الصهيونية بالتواطؤ مع النظام
الرسمي العربي سيؤدي بالضرورة إلى تعاضم
التيار المقاوم واتساع حاضنته الشعبية على
امتداد الوطن الكبير وأن الدور السوري المقاوم
سيزداد عمقا وتأثيراً في توازات المنطقة وأن
الدور إلى فلسطين والجولان ستكون أكثر
وضوحاً في الأيام القادمة..

الأخطر اليوم هو ما نلاحظه من
نشوء صهيونية عربية وضعت
نفسها في خدمة المشروع الصهيوني
بكل ما يعني ذلك من تهديد
للوجود العربي.

إلى بعض المواقع في الجولان مثل: (بيت
صيدا، وبانباس، والكرسي في سياق الحديث عن
الأمكان التي زارها السيد المسيح (ع) والمعجزات
التي قام بها، ويرد اسم الجولان في كتب
المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين والأجانب
ولاسيما في الألف الثاني بعد الميلاد، ويلاحظ
من استعراض هذه الكتب اهتماماً واضحاً بهذه
المنطقة حيث بلغ عدد الذين تناولوها بشكل
أو باخر أكثر من أربعين كتاباً الأمر الذي يؤكد
أهمية الجولان ودوره في تاريخ المنطقة.

وقد أكد هؤلاء أن الجولان كان كورة تابعة
لدمشق أو رستاقاً من رستاق دمشق وقد تناول
هذا الموضوع على سبيل المثال لا الحصر: ابن
خراداذبة في المسالك والممالك، والشيرازي في
مختصر كتاب البلدان، والمقدسي في أحسن
التقاسيم، والإدرسي في نزهة المشتاق، وشيخ
الربوة في نخبه الدهر، وياقوت الحموي في
معجم البلدان..

وفي إطار التركيب السكاني لمنطقة الجولان
فقد أكدت المصادر التاريخية أن كل الأقوام التي
سكنت الجولان هم من العرب الأقباح (2):
«أفاد اليعقوبي في كتاب البلدان أن:
أهل بانباس الجولان قوم من قيس، أكثرهم
من بني مرة وفيها نضر من أهل اليمن...
وأشار الحمادني في صفة جزيرة العرب إلى
وجود مساكن للخم في الجولان، حتى إنه اعتبر
الجولان وما يليه من البلاد: نوى والبثنية
للخم.

وأوضح المسعودي في مروج الذهب: «إن
ديار ملوك غسان كانت باليرموك والجولان
وغيرهما من غوطة دمشق، وأن ديار داسم كانت
بالجولان»،
وقد جاء في فتوح البلدان للبلاذري:
ومن المعروف أن فيق وسوسية، وقلعة
الحصن هي مناطق في الجولان وذكر المسعودي
في مروج الذهب أن «جاسم قرية بموضع يعرف
بالجولان»، وأوضح القرمانى وجود ثلاثة مواقع
تحمل اسم عقرباً «أولها مدينة بالجولان»..

وقد ورد ذكر الجولان في الشعر الجاهلي على
لسان النابغة الذبياني حين قال:
بكى حارث الجولان من فقدره
وحوران منه موحد متضائل
وقال أيضاً:
لئن كان للقبرين قبر بجلق

ورد اسم الجولان على ألواح
تل العمارنة... وهناك الكثير
من الوثائق التي تؤكد عروبة
الجولان منذ فجر التاريخ.

لاحظنا في الأونة الأخيرة تصعيداً غير
مسبوق لقادة الكيان الصهيوني حول الجولان
السوري المحتل على نحو يعكس رغبة الكيان
الصهيوني في خلط الأوراق، وإضافة تعقيدات
جديدة للوضع المزوم في المنطقة وذلك بهدف
دعم الإرهاب وإطالة أمد الحرب الكونية
الظالمة على سورية العربية وتحقيق مكاسب
جديدة للكيان الصهيوني في إطار أية تسويات
محتملة في المنطقة.

على أن هذا التصعيد يعكس في جوهره
الأحلام والأساطير التوراتية التي قام على
أساسها المشروع الصهيوني منذ بداياته الأولى،
ويعكس أيضاً قلقاً وجودياً لدى قادة الاحتلال.
ولعل الأمر الذي شجع قادة الكيان الصهيوني
على هذه الممارسات كما نعتقد تخاذل بعض
الأنظمة العربية وتحالفها المعلن مع العدو على
نحو شكل عمقاً استراتيجياً للكيان الصهيوني
وانهياراً كاملاً لجدار الأمن القومي العربي الذي
بدأت ملامحه الأولى مع اتفاقات كامب ديفيد
وأوسلو ووادي عربة... ولن نبالغ إذا قلنا:
إن ما تشهده الساحة العربية اليوم من تدمير
ممنهج وتشويه للبنى الاجتماعية والثقافية
والسياسية والاقتصادية وتفكيك لأركان
الدولة الوطنية لا يمكن أن يكون لولا تلك
الاتفاقات التي فتحت الباب على مصراعيه
لتغلغل الكيان الصهيوني في المنطقة، وأدت إلى
انحرافات قاتلة في مسارات الصراع العربي
الصهيوني.

لقد كان دخول السادات إلى ما يسمى
الكنيست الصهيوني عشية عيد الأضحى
1977... بداية الانهيار للأمن القومي العربي
وهو ما نحصده نتائجه الكارثية حتى الآن..
وإذا كنا نشكو عبر سنوات الصراع الطويل
مع المشروع الصهيوني العنصري من «الصهيونية
المسيحية وتأثيراتها على الإدارة الأمريكية
والإدارات الأوروبية بشكل عام...»، فإن
الأخطر اليوم هو ما نلاحظه من نشوء صهيونية
عربية وضعت نفسها في خدمة المشروع
الصهيوني بكل ما يعني ذلك من تهديد لعوامل
الوجود العربي.

وإذا كان هذا يبعث في نفوسنا الكثير من
الحزن، والكثير من الغضب إلا أن ما نؤمن به
إيماناً مطلقاً أن ذلك الانهيار وتلك الممارسات
ليست إلا أمراً طارئاً في تاريخنا، وأن النظام
الرسمي العربي المتواطئ مع العدو لا يعبر عن
تطلعات الجماهير العربية... وأن الحركة
الشعبية العربية على الرغم من كل العقبات
التي تواجهها ستكون قادرة في لحظة تاريخية
قادمة بلا ريب على امتلاك زمام المبادرة
وتصويب مسارات الصراع مع كل القوى الدولية
التي تحاول الهيمنة على المنطقة من خلال
المشروع الصهيوني العنصري باعتباره الناتج
الطبيعي لمصالح الغرب ومصالح الشركات
العابرة للحدود على امتداد كل الأصقاع في
عالم اليوم.

وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم ما يجري الآن
في مختلف أقطار العروبة وفي سورية العربية
على وجه الخصوص، وما نلاحظه من تصعيد
صهيوني حول قضية الجولان باعتبارها
جبهة رئيسية من جبهات الصراع مع العدو
الصهيوني.. نقول هذا ونحن نؤمن أن الجولان
قديم قدم التاريخ، وعربي قدم العروبة، وأن
الوجود الصهيوني في المنطقة هو حالة طارئة،
ستنتهي حتماً عندما يكون العرب أكثر وعياً
لمصالحهم..

الأمر الذي تؤكد حقائق التاريخ
والجغرافية: وأن الجولان العربي هو في عمق
التاريخ وفي عمق الجغرافية.

«حيث يشير الكتاب المقدس الإنجيل» (1)

الهوامش:

1. كتاب الجولان، عز الدين سطات.
2. معارك خالدة في تاريخ الجيش العربي السوري، هاني
الشمة.



اجتماع حكومة الاحتلال في الجولان حركة للهروب من أزماتها

• عبد الحميد غانم

عقدت حكومة الكيان الصهيوني بزعامته الإرهابي نتنياهو جلستها الأسبوعية في الجولان المحتل يوم 2016/4/17 ، وذلك للمرة الأولى منذ احتلال الكيان الصهيوني للجولان العربي السوري، ودعا نتنياهو خلالها المجتمع الدولي إلى الاعتراف بسيادة الاحتلال على الجولان. وتابع أن

الكيان الصهيوني ليس المشكلة بل الجول، وأن دولاً كثيرة في المنطقة تعترف بذلك، مضيفاً أن التعاون والتفاهم مع هذه الدول يتزايدان باستمرار. هذه الحركة الصهيونية تحمل في طياتها دلالات وغايات عدة، أبرزها:

- إنها تأتي في إطار التعمية والتضليل الإعلامي الذي تمارسه القوى الظلامية والمعادية للتأثير على صمود الشعب العربي السوري وتمسكه بقيادته ومؤسساته ونظامه السياسي لاسيما القيادة الحكيمة للسيد الرئيس بشار الأسد. - تريد أن تطمس وقائع الانتصارات الميدانية التي يحققها الجيش العربي السوري في معركته ضد الإرهاب والفكر التكفيري، وحسمه العديد من المعارك، والسيطرة على كثير من المدن والمحافظات السورية وتنظيفها من التنظيمات الإرهابية، وبات قريبه من الجولان المحتل يزعج الاحتلال الصهيوني، ويثير مخاوفه من أن تطال العمليات السورية قواته هناك.

- أراد نتنياهو إعطاء رسائل عديدة على صعيد داخل الكيان الصهيوني وخارجه، فداخليا، أراد أن يصور للشارع الإسرائيلي بأن حكومته واتلافه الحزبي والسياسي بزعامته حزبه الليكود الذي حقق نتائج خجولة في انتخابات الكنيست الأخيرة، بأنها الأقدر على الدفاع عن أطماع الكيان في الاحتلال والاستيطان والتهويد والتوسع على حساب الشعب العربي الفلسطيني وأرضه ومقدساته، وأن اتلافه السياسي الهش هو اتلاف متماسك، يعزز صورته كزعيم لمعسكر اليمين الإسرائيلي، رغم قناعة الجميع، بأنه لا يمكن التمييز بين التيارات والاتجاهات السياسية الصهيونية داخل الكيان من ناحية الممارسات والسياسات الإرهابية والعنصرية والاحتلالية، لأنها وجهاً لعملة واحدة.

- أما خارجياً، يحاول نتنياهو من خلال هذه الحركة وتصريحاته التي أطلقها أن يوجه رسالة لحلفائه لاسيما الولايات المتحدة للضغط على المجتمع الدولي، كي يعترف بالاحتلال الصهيوني للجولان، ويرسخه حقيقة لا تغيير لها، كأنما لسان حاله يقول إن الاحتلال بالضرورة يسقط بالتقادم، كما هو حال بعض الجرائم.

- جاءت هذه الحركة مترافقة مع الحديث الصهيوني عن الأوضاع في الجولان المحتل، الذي ارتفعت وتيرته خلال الفترة الأخيرة، فخلال زيارة نتنياهو الأخيرة للولايات المتحدة الأمريكية، اجتمع في البيت الأبيض مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما، وقالت صحيفة هآرتس إنه خلال الاجتماع طلب نتنياهو من أوباما أن يعمل على اعتراف المجتمع الدولي بالجولان العربي السوري المحتل كمنطقة إسرائيلية، ضمن أي حل سياسي للأزمة السورية.

- يكشف الاجتماع الحكومي في الجولان والتصريحات التي أطلقها رئيس الوزراء الصهيوني عن رعب الاحتلال من فكرة الانسحاب من الجولان بعد 35 سنة من فشل القرار الصهيوني بضم الجولان إلى أراضي الكيان الاستيطاني الاحتلال الصهيوني عام 1981،

ولم تكونا المؤشر الأول على ذلك، بل سبقها إجراء نتنياهو زيارة تفقدية للقوات الإسرائيلية في الشطر المحتل من الجولان، وفي خطوة غير مسبوقة أيضاً، أقر رئيس الوزراء علناً حينها بأن قوات الاحتلال الصهيوني قصفت عشرات المرات ما تدعيه بأنها قوافل سلاح في سورية كانت مرسله لحزب الله، الأمر الذي يكشف حجم التدخل الصهيوني في

يكشف الاجتماع الحكومي «الإسرائيلي» والتصريحات التي أطلقها رئيس الوزراء الصهيوني عن رعب الاحتلال من فكرة الانسحاب من الجولان.

”

الأزمة السورية.

- يخشى رئيس الحكومة الإسرائيلية أن يتعرض الكيان العبري مع اقتراب سورية بفضل جيشها الباسل وشعبها الصامد وقيادتها الحكيمة إلى الانتصار على قوى الإرهاب والتكفير، لضغوط وحملات من المجتمع الدولي؛ لحمل الكيان الصهيوني على الانسحاب من الجولان المحتل، في إطار الحملات المكثفة في المنابر الدولية المطالبة بعودة الجولان المحتل إلى سورية، إذ تطالب الجمعية العامة للأمم المتحدة كل عام منذ قرار الضم سلطات الاحتلال بالانسحاب من كامل الجولان السوري المحتل إلى خط الرابع من حزيران لعام 1967؛ تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة، كما تدّين عدم امتثال الكيان الصهيوني حتى الآن لقرار مجلس الأمن رقم 497 لسنة 1981، مؤكدة أن قرار الكيان الصادر بتاريخ 14 كانون الأول لعام 1981 برفض قوانينها وولاياتها وإدارتها على الجولان السوري المحتل مُلغى وباطل، وليست له أي شرعية على الإطلاق، وتطالب «إسرائيل» بإلغاء قرارها.

- إنها خطوة تريد منها حكومة الاحتلال تصدير أزمته الداخلية إلى الخارج، والهروب منها إلى الأمام، نظراً لفشلها على أكثر من صعيد في حل مشكلات المستوطنين واستيعاب المهاجرين وخلق المناخ الملائم لتوحيد سكان الكيان المهاجرين من بقاع مختلفة من العالم في اللغة والثقافة والعرق والفكر والعادات في بوتقة واحدة، وإلغاء التمييز والفرقة بينهم، كل ذلك يجعل من الكيان الصهيوني ساحة أزمة داخلية بدأت تتفجر معالمها في تصاعد الهجرة العاكسة وفي نضوب الهجرة اليهودية إلى الكيان، وفشل هذا الكيان أن يكون مكاناً جاذباً ليهود العالم، ما يعني ضرب الأهداف العليا للصهيونية وضرب الأسس التي قام عليها الكيان الصهيوني.

إن هذه الخطوة وتصريحات نتنياهو بشأن عدم التخلي عن الجولان تعد منافية للعقل والمنطق وتخالف القانون الدولي، وهي خطوة ليست مستغربة من رئيس وزراء يميني مثل بنيامين نتانياهو الذي ضرب بعرض الحائط كل آمال السلام في المنطقة بإصراره على التمسك باحتلال القدس الشرقية وتكثيف الاستيطان في المناطق الفلسطينية المحتلة. إنها دون شك تعكس أطماع الكيان الصهيوني القديمة الجديدة بالجولان. يقول الصهيوني مائير كوهين: «إن إسرائيل لا يمكنها أن تضحى بالجولان استراتيجياً لأنها تكشف الكيان المحتل كليا أمام سورية».

سببى الجولان أرضاً عربية سورية، وسيعود إلى أصحابه الحقيقيين طال الزمن أم قصر. كما قال السيد الرئيس بشار الأسد خلال كلمته التي ألقاها في المؤتمر الصحفي الذي عقده في فينا بالتمسا يوم 2009/4/27، «لا نستطيع أن نقول بأن الجولان مهم بل هو حق إذا كان مهماً أو غير مهم فهو أرض لنا وهي حق لنا وبالتالي يجب أن يعود بكل الأحوال».

• د. فايز عز الدين

تسعة وأربعون عاماً وكيان العدوان الصهيوني يواصل احتلاله للجولان متجاهلاً قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة مدعوماً من الغرب المتصهين، والأعراب التابعين. ثم أربعة عقود ونيّف على تحرير القنيطرة.

ومنذ أن امتدت سحابة الظلم والظلام الصهيوني على الجولان وعروسه القنيطرة البظلة في الخامس من حزيران 1967 تغير في الزمن العربي كل شيء، وبدأ تاريخ العدوان يهدد الوجود العربي برمته، ويعزف على قيثارة الموت لحناً عنصرية باغية ألقها شعبنا عبر الزمن الاستعماري الطويل، لكنها هذه المرة تظهر بوجه أقبح من كل ما ظهرت عليه في تاريخ العرب، وقرونها المغولة في القدم.

وقبل أن ينبج الصبح في الخامس من حزيران طافت في السماء العربية الغربان، ووشح السواد كل رقعة من اليرموك كان خالد بن الوليد يقبل عليها جمره، ويعد لهم ما استطاع من القوة، ومن رباط الخيل، لكن الزمن قد تغير ولم تعد الأيام كما كانت، ولا الناس كما كانوا. نعم تغيرت الصورة العربية التي ما احتجبت زمن خالد، وصلاح الدين إلا لتشرق شمسه من جديد، أما هذه الحظبة ففيها التفوق الصهيوني المدعم من قوى الامبريالية قد جعل الكثير من سمات العرب نحتجب، وخلق في الروح سيورة التراجع، وغلف العقل بحرارة الذهول، وكان العربي لم يكن من أهل السيف ولا كان التاريخ من رؤى الكفاح ومرثياته.

وبين أزمة التردد العربي والنكوص بزغ من سورية فجر ينير كل ظلمة في العقول ويدفع في الإرادة كل أمل، وأضل من خلف اليأس الغامر وجه القائد حافظ الأسد يحمل رؤى الخلاص. ومنذ فجر ذلك الزمان بدأ العمل على كل الجبهات لبناء سورية بمهام التحرير، وتعبئة جماهير الوطن من أجل استعادة الحقوق بأعلى أشكال التضحية، وأكثر طاقات العطاء الوطني.

وكما العادة استحثت إسرائيل شركاءها في اغتصاب فلسطين والأراضي العربية المحتلة ليدخلوا معها المعركة ضد العرب، وقد دخلوها غير مرة ولا سيما في عدوان الخامس من حزيران الذي كان منسقا مع السعودية، ومع كل ما قد تم من تأمر بقيت العرب في الذهن الدولي طلاب حق، وأصحاب قضية عادلة.

وبنتائج حرب تشرين التحريرية وحرب الاستنزاف عادت للقنيطرة أولونها العربية السورية، ورفع العلم العربي السوري في سمانها. إذا؛ تسعة وأربعون عاماً مضت، ولا تزال انتفاضة الجولان تتجدد، ولا تزال وقفة أهل في قري مجدل شمس وبقعاتا، وعين قنية، ومسعدة تتمسك بالهوية السورية، والثقافة والأصول العربية، وترفض الضم والهوية الإسرائيلية رغم كل ما حاوله العدو، لكي يكسر إرادة أولئك الصامدين والصابرين الذين لم يستطعوا نضالهم نفاذ صبر، بل رغبة جهاد، ومقاومة وكبرياء.

نعم منذ أن استدعى مناحيم بيغن -رئيس وزراء العدو الصهيوني- وزير دفاعه آنذاك أرئيل شارون، ووزير خارجيته إسحاق شامير، وأبلغها قراره بضم الجولان العربي السوري طالما أن سورية لن تسلم بوجود إسرائيل كما قال لهم، وتم إقرار قانون الضم في الكنيست الإسرائيلي بغالبية 63 صوتاً، وصدر بتوقيع رئيس الدولة إسحاق نافون، وكتب تحتته، أقرته الكنيست يوم 14/12/1981 لم تهدأ لأهلنا في الجولان المحتل مقاومة وهبوا هبة رجل واحد للذود عن حيض أروضهم، وتاريخهم، ووجودهم، وانتمائهم للوطن الأم سورية.

ومن العروف أن سورية -في ذلك الزمان- قدمت لمجلس الأمن الدولي رسالتها التي ترفض فيها قرار الضم وتعتبره بكل مواثيق الأمم المتحدة، والقانون الدولي لاغياً، وباطلاً ومن دون فعالية على الصعيد الدولي وطالب إسرائيل بإلغائه فوراً، وتمسك بأحكام اتفاقية جنيف المعقودة بتاريخ 13/08/1949

القنيطرة ومرثيات التحرير

والتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب.

ومن المعروف أن هذا القرار لقي تجاهلاً من قبل إسرائيل أسوة بما سبقه من قرارات للجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي. وكما أن قرار الضم الجائر هذا قد لقي قبولا واسعاً لدى المستوطنين الصهاينة فقد لقي بالمقابل رفضاً واسعاً من عرب فلسطين، وتضامناً كاملاً مع نضال

مواطني الجولان ضد التعسف الإسرائيلي وحصار أهلنا في القرى المذكورة بهدف نهبهم عن عزمهم في مقولتهم الخالدة: (المنية ولا الهوية).

وعلى الأثر ثارت انتفاضة أهل بمقاومة شعبية حتى جعلت من إسرائيل تخافها وتحول الجولان بأكمله إلى سجن مغلق كبير، وصدرت ضد المقاومين الذين انتفضوا أحكام جائرة، وأودعوا سجون الاحتلال. وتحدياً لإجراءات العدو تدعى أبناء الجولان لعقد اجتماع حاشد لهم ضم كافة سكان القرى المنهوبة عنها، وأعلنوا إضراباً شاملاً ومفتوحاً يمنع أي تعاون مع سلطات الحكم الإسرائيلي تعبيراً عن رفضهم تطبيق القانون الإسرائيلي في الضم. وقد قدم المواطنون مطالبهم لقوات الاحتلال حيث كانت -

إطلاق سراح المعتقلين كافة - عدم تبديل الهوية، والكف عن مضايقة السكان، والمس بمصالحهم. وإعادة الأراضي والأملك المصادرة، والسماح باستخدام المياه ومعاملة أبناء الجولان حسب المواثيق الدولية التي أقرتها الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية التابعة لها. ومن المعروف أن أهل الجولان -حينها- قد نفذوا في يوم 14 شباط 1982 الإضراب العام الكبير وشمل قري: مجدل شمس، وبقعاتا، وعين قنية، ومسعدة، فرفضت الأعلام السورية، رغم أن عقوبة رفع العلم السوري تصل إلى حد السجن خمس سنوات.

ولكي تخفف حكومة العدو من أهمية هذا الإضراب العام الكبير قامت برفض حصار شامل على القرى المضربة في 25/12/1982 ومنعت عنهم دعم إخوانهم من عرب فلسطين، وفي هذه الأثناء وقعت اشتباكات كثيرة مع قوات الاحتلال جدد فيها أهلنا روح حرب التحرير المجيدة، وأجبروا العدو على التراجع عما فرضته عليهم ولا سيما بعد أن حطموا سيارة شمعون بيريز وهو بداخلها. ووقفت دام هذا الإضراب 157/ يوماً ليصبح أطول إضراب ضد الاستعمار في تاريخ سورية، حيث كان قد سبقه في زمن الاحتلال الفرنسي لسورية إضراب الستين يوماً في الثلاثينيات من القرن العشرين المنصرم.

وقد جعلوا -منذئذ- يوم 14 شباط يوماً للاحتفال بكبراء، وتجديد الانتماء لسورية والعروبة من المواطنين الذين لم يرغمهم عسف الاحتلال للتخلي عن هويتهم، أو ولائهم، أو ارتباطهم بخارطة الوطن العظيم، وإزاء وقفة الصمود المشرفة هذه كرمّت سورية أهالي الجولان بكل ما يستحقون برعايتهم، ورعاية أبنائهم حيث فتحت لهم بوابات الوطن لتعليم أبنائهم، وقدرات الوطن لتعزيز صمودهم ويقوم السيد الرئيس بشار الأسد برعايتهم كما تستوجب الرعاية الوطنية، ويكرمون حين تكون لهم زيارات سنوية إلى الوطن الأم، وقد أعلنها الرئيس في أكثر من مناسبة أن الجولان سيعود وأبدى سيادته تفاؤلاً مفعماً بالثقة بأن الجولان عائد إلى سورية، ولن تقوى إسرائيل على مواصلة احتلاله مهما بلغت غطرستها، ومهما كانت قوة داعميتها فنحن أصحاب الأرض التاريخيون، والأرض لنا مهما جثم على ثراها الغاصبون.

وفي ذكرى تحرير القنيطرة في السادس والعشرين من هذا الشهر يجدد أهل الجولان العزم على الكفاح مهما بدت إسرائيل بغطرستها خاصة حين أقام نتنياهو اجتماع وزارته على أرض الجولان ليؤكد أنه باق فيها إلى أمد طويل، ويعلن استخفافه بالقرارات الدولية، فحاء رد جماهير الجولان أن الجولان عائد إلى سورية الأم مهما قامت إسرائيل بالاستفزازات المعروفة في التاريخ فالحق الساطع والشعب كفيلاً بعودته.